

مستمعي العزيز، انتهينا في اللقاء الماضي من دراسة الأصحاح السادس من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد ناقش في هذا الأصحاح موضوع علاقة المؤمن الحقيقي في المسيح، بكل من الخطية والناموس أي شريعة الله في العهد القديم. فبرهن أن المؤمن عندما يمارس فريضة المعمودية فهو يعلن موته عن الخطية، وقيامته مع المسيح كإنسان جديد. ويتحرر في نفس الوقت من سلطان الناموس ويدخل دائرة نعمة الله. وأكد الرسول بولس أن تحرر المؤمن من سلطان الناموس، لا يعني البتة أن بإمكانه الاستهانة بنعمة الله وممارسة الخطية. بل على العكس إذ عليه أن يقدم جسده عبدا للبر والقداسة والصالح.

لكن أليس الناموس هو الشريعة التي أعطاها الله للإنسان لكي يسلك بموجبها؟ فلماذا يجب على المؤمن في المسيح أن يتحرر منه؟ حقا إنه سؤال هام. ولهذا بدأ الرسول بولس الأصحاح السابع من الرسالة إلى رومية بمعالجة هذه المشكلة التي قد يطرحها الكثيرون من قارئ رسالته. فكتب قائلا: "أم تجهلون أيها الإخوة. لأني أكلم العارفين بالناموس. أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حيا." إنها بالفعل حقيقة بديهية أراد الرسول بولس أن يلفت انتباهنا إليها. وهي أن الإنسان يجب أن يسلك بحسب ناموس الله أو شريعته ما دام حيا. لكن عند موته لا يبقى طبعاً للناموس أي سلطان عليه.

وضرب لنا الرسول بولس مثلا من واقع الحياة ليؤكد حجته فكتب في العدد الثاني يقول: "فإن المرأة التي تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحي. ولكن إن مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل." أي أن المرأة المتزوجة برجل ترتبط بعهد الزواج المقدس معه، مادام زوجها حيا. لكن عند وفاة الزوج يفك أو ينتهي هذا العهد بينها وبينه.

وكننتيجة طبيعية لذلك، تابع الرسول بولس في العدد الثالث قائلا: "فإذا ما دام الرجل حيا تدعى زانية إن صارت لرجل آخر. ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى أنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر." هذا صحيح بالطبع. لأن المرأة المتزوجة لا يمكنها أن تكون لرجل آخر مادام زوجها حيا، وإلا تعتبر زانية. لكنها تستطيع أن تكون لرجل آخر عند وفاة زوجها، لأن العهد قد انتهى بينها وبينه.

لنعد الآن إلى موضوعنا وهو تحرر المؤمن في المسيح من الناموس، فهل ينطبق هذا التشبيه على هذه العلاقة؟ نعم يوجد شبه كبير كما أوضح لنا الرسول بولس بين حالة المؤمن في المسيح ووضع المرأة المتزوجة. فكما أن المرأة المتزوجة تصبح حرة بعد وفاة زوجها، هكذا الإنسان بعد إيمانه في المسيح يصبح حرا من ناموس الله.

هل هذا يعني أن الإنسان عندما يؤمن في المسيح يموت ولا يعود للناموس أي سلطان عليه؟

بالضبط تماما، ولهذا كتب الرسول بولس في العدد الرابع قائلا: "إذا يا إخوتي أنتم أيضا قد متم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر للذي قد أقيم من الأموات لنثمر لله." من الواضح أن الرسول بولس يعيدنا هنا إلى موضوع المعمودية. فكما لاحظنا سابقا إن المؤمن في المعمودية يتحد مع المسيح في موته وقيامته. وهكذا يعلن موت الإنسان القديم المستعبد للخطية، وأنه أصبح إنسانا جديدا. أي يعلن المؤمن موت الإنسان القديم المرتبط بناموس الله، وبذلك يصبح حرا منه. ويستطيع عندها أن يرتبط بآخر الذي هو المسيح المقام من بين الأموات. وأن يكون مثمرا لله.

لكن ألا يستطيع الإنسان أن يكون مثمرا لله إذا سلك بموجب الناموس الذي وضعه الله؟ إنه حقا تساؤل هام. ولهذا عاد الرسول بولس ليوضح في العدد الخامس إذ قال: "لأنه لما كنا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نثمر للموت." أي أن الناموس بدل مساعدتنا، أثار أهواء الخطية في جسدنا، لكي نقوم بأفعال الشر التي نتيجتها الموت. والمقصود بالجسد هنا هو الإنسان القديم المستعبد للخطية، قبل أن يؤمن الإنسان بالمسيح المخلص. حقا إنه لأمر غريب. أن يجعل ناموس الله الإنسان يخطئ وأن يؤدي إلى شقاءه. أما سبب ذلك فهو لأن كل ممنوع مرغوب. ولهذا فإن الممنوعات في الناموس توقظ فينا الرغبة للخطية، بدل أن تساعدنا على الحد منها. ولذلك كان من الضروري أن يتحرر المؤمن بالمسيح من سلطان الناموس لكي يستطيع أن يسلك في طريق الصلاح والبر، ويرضي الله. وهذا التحرير يحصل عندما يختبر خلاص المسيح.

وختم الرسول بولس هذا المقطع في العدد السادس إذ قال: "وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعق الحرف." أجل لقد أتى الزمن الذي أصبح فيه بإمكان الإنسان أن يتحرر من الناموس، عن طريق موت الإنسان القديم. وهكذا صار بمقدور الإنسان الجديد في المسيح أن يعمل مشيئة الله من القلب وبحرية، وليس عن طريق الناموس الحرفي والإلزام.

لكن هل قولنا أن ناموس الله يجعل الإنسان يخطئ، يعني أن الناموس نفسه غير صالح؟ هذا سؤال هام، لهذا نجد الرسول بولس يسرع في العدد السابع قائلا: "فماذا نقول هل الناموس خطية. حاشا. بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإني لم أعرف

الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته. " الجواب إذن كلا، أي أن الناموس صالح. لكن كما ذكرنا في لقاءات سابقة فإن الناموس يعرفني على الخطية ويحددها لي. فما لم يقل الناموس عن شيء أنه خطية، فإن الإنسان لا يعرف أنه يخطئ، كالشهوة مثلا.

وتابع الرسول بولس شارحا الموضوع في العدد الثامن فقال: " ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة. لأن بدون الناموس الخطية ميتة. " فعندما عرفت أن الشهوة خطية، أثارت الخطية في نفسي كل الشهوات. لأنه بدون الناموس تكون الخطية ميتة أي غير معروفة بالنسبة لي. إن الناموس إذن يكشف الخطية لنا، لا بل هو الذي يجعلها موجودة.

ولهذا استنتج الرسول بولس في الأعداد ٩ - ١١ قائلا: "أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا. ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا. فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت. لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلنتي." وبتعبير آخر أراد الرسول بولس القول: أنه قبل مجيء الناموس كنت لا أعرف الخطية. لكن بعد إعلانه اكتشفت أنني خاطئ وأن الخطية تمتلك كياني. وهكذا بدا وكأن وصية الله هي مصدر شقائي وهلاكي. ولنلاحظ أن الخطية كما قال الرسول بولس تخدع الإنسان. فبالرغم من معرفة الإنسان لها عن طريق وصية الله، لكنها تجذبه لها بإغراءاتها الكثيرة، وإدعائها أنها ستشبعه وتمنحه السعادة.

لكن هذا لا يبدل من النتيجة الهامة التي دونها لنا الرسول بولس في العدد الثاني عشر: "إذا الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة." أجل إن الناموس صالح ومقدس لأن مصدره الله نفسه.

وهنا يطرح الرسول بولس في العدد الثالث عشر السؤال: "فهل صار لي الصالح موتا. حاشا. بل الخطية. لكي تظهر خطية منشئة لي بالصالح موتا، لكي تصير الخطية خاطئة جدا بالوصية." من البديهي أن الناموس صالح. لكن الهدف منه ليس أن يؤدي إلى هلاك الإنسان، بل ليكشف له مدى فساد الخطية. وهنا استغلت الخطية وصية الله الصالحة لكي تدمر الإنسان، وهكذا ظهرت على حقيقتها خاطئة جدا. إن هدف الله من الناموس ومن وصاياه إذن هو أن يكشف للإنسان مدى خطيئته، وعجزه عن السير بحسب هذه الوصايا. لأن البشر جميعا كما ذكر الرسول بولس مرارا هم عبيد للخطية.

ألا تود صديقي المستمع أن تتحرر من عبودية الخطية؟ أولا ترغب أن تسلك في طريق البر والصلاح؟ تعال بتوبة صادقة وإيمان قلبي أكيد بالمخلص يسوع المسيح، الذي مات على الصليب لكي يكفر عن خطاياك.